مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 123) 2024, pp. 180-190

أثر الاصلاح العثماني في بلاد فارس حتى القرن التاسع عشر

أ.د. عبد الرحمن أدريس صالح
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى
Rahman.albeaty@gmail.com

م.د. عارف شاكر محمود
مديرية تربية صلاح الدين / قسم تربية بلد
Alahbaby69aref@gmail.com

مستخلص البحث:

شهدت بلاد فارس منذ العهد الصفوي افكار اصلاحية كانت متأثرة بما كان يجري في الدولة العثمانية، وتركت تحولاتها اثاراً في المجتمع الفارسي، ولم تمنع الحروب التي حدثت بين البلدين من ظهور افكار اصلاحية داخل بلاد فارس لتتوسع في النصف الاول من القرن التاسع عشر وبدأت بالجانب العسكري بعد الاطلاع عن محاولات الاصلاح والتحديث في الدولة العثمانية. وقد أسهم الجانب الجغرافي والحدود الطويلة بين الدولة العثمانية وبلاد فارس في انتقال الافكار الحديثة والتوجهات الاصلاحية الى بلاد فارس هذا بالاضافة الى دور الموظفين الدبلوماسيين والتجار وبعض الطلبة والمثقفين في ذلك الاتجاه. كان للمحاولات الاصلاحية في بلاد فارس اثر في مجرى التاريخ الايراني وان لم يكتب لبعضها النجاح وذلك بسبب معارضة البعض من جهات حكومية وشعبية مستفيدة إلا انها نبهت الاذهان وعكست مدى الافادة من الاصلاح العثماني او الاوروبي لخدمة المجتمع الايراني الذي دخل الوطنيين منه في نهاية المطاف في صراع ضد القوى الاستعمارية.

المقدمة:

شهدت بلاد فارس منذ العهد الصفوي افكار اصلاحية تأثرت بما كان يجري في الدولة العثمانية، وأبصرت البلاد تحولات تركت آثار في المجتمع الفارسي فيما بعد، على الرغم من ان تلك الافكار الاصلاحية كانت تقليدية إلا انها اصبحت انموذجاً في الانشطة الفكرية لمن جاء من المفكرين والمصلحين في القرن التاسع عشر حتى ادرك المتأخرين منهم ضرورة التواصل والاخذ مع الغرب، والاعجاب بما حدث من تغير داخل المؤسسات العثمانية سواء كانت عسكرية ام ادارية لنقله الى داخل المجتمع الفارسي وتعديل ما يمكن تعديله من النظم التقليدية الى ما يشبه الحكم الملكي في اوروبا او الدولة العثمانية. اطلع العثمانيون على ما جرى من تطور داخل المجتمعات الاوروبية وقد استفادوا من بعض الحركات الاصلاحية وطبقوها في جوانب معينة، ويبدو ان الدولة العثمانية كانت العقبة الاساسية للتطور الاقتصادي لبلاد فارس وذلك لتواصل الحروب فيما بينهما، إلا ان ذلك لم يمنع ان تظهر بوادر لافكار اصلاحية في البلاد منذ نهايات العهد الصفوي لتتوسع في النصف الاول من القرن التاسع عشر بدأت بالجانب العسكري بعد الاطلاع والتعرف على محاولات الاصلاح والتحديث في الدولة العثمانية. جاء موضوع البحث ليوضح مدى التأثير العثماني في الاصلاحات الايرانية التي جاءت بفعل بعض المصلحين كان من بينهم شخصيات حكومية كان لها أثر في القرار السياسي انذاك، الامر الذي عكس عدد من التساءلات من بينها: هل تأثر المصلحون الاوائل في بلاد فارس بالاصلاحات العثمانية ؟ وهل اقتصر الاصلاح على الجانب العسكري ام شمل جوانب اخرى، وما الشخصيات الرائدة في الاصلاح، وهل نجح الاصلاح في تحقيق بعض المكاسب على الساحة الفارسية وغيرها من التساءلات التي يمكن للقارئ ان يجد اجاباتها في ثنايا بحثنا هذا.

قسم البحث على ثلاثة عنوانات رئيسية تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة. جاء الاول بعنوان (الخلفيات التاريخية للإصلاحات العثمانية) والذي استعرضنا فيه نبذة تاريخية عن الاصلاحات العثمانية واهم رواد ذلك الإصلاح، وما الانجازات التي تحققت بفضل عدد من المصلحين العثمانيين . وكرس العنوان الثاني (التوجهات الاصلاحية في بلاد فارس) لبحث اهم التوجهات الاولى للإصلاح الفارسي وبعض اولئك الرواد الذين استشعروا جوانب الضعف وعملوا على اصلاحها بالشكل الذي يكشف الانفتاح على ما حصل من تطورات خارجية، ومنها ما حدث في الدولة العثمانية. وتطرق العنوان الثالث (الاصلاح في بلاد فارس خلال القرن التاسع عشر والاثر العثماني فيه) الى اهم الجوانب التي عكست التأثير العثماني في الاصلاح الفارسي في القرن التاسع عشر، واهم المصلحون الذين تأثروا بما حدث من تغيرات داخل الدولة العثمانية بفعل الاصلاحات، وفي الخاتمة تم تحديد اهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها من خلال سير احداث الموضوع. استند البحث على مجموعة من المصادر ذات العلاقة بالموضوع استعرضت طبيعة التحديث في ايران واهم المتغيرات التي احدثتها من خلال التأثر بالغرب والدولة العثمانية، هذا عسى ان نكون قد وفقنا والحمد والشكر لله.

المبحث الاول

الخلفيات التاريخية للإصلاح العثماني:

سببت الهزائم التي لحقت بالدولة العثمانية منذ العام 1683 تراجعاً ملحوظاً في كيان الدولة[1]، واخذت علامات الانحطاط تتضح فيها ابان القرن الثامن عشر، الامر الذي زاد من حركات المعارضة في مختلف الولايات العثمانية[2]. ومن ضعف المركز ازداد تحكم الاقطاعيين والأمراء فضلاً عن الشيوخ المحليين وساد نظام شبه اقطاعي في العديد من الولايات العثمانية[3].

بدا واضحاً التفوق الاوروبي في مجالات عديدة ابرزها: التقدم الفكري ، والتطور الاقتصادي هذا فضلاً عن النجاحات التي أحرزت في حقلي السياسة والاجتماع، في حين بقت العقلية العثمانية على حالها من دون اي نشاط يخرجها من مجال التقليد والسكونية المقفلة، وازاء تلك المتغيرات ظهرت جماعتان من المصلحين آمنوا بضرورة نهوض المجتمع العثماني، وسعت المجموعة الاولى الى معالجة ذلك الوضع من خلال تطبيق الانظمة الاسلامية واستلهام روح الاسلام ومبادئه، فيما ارتأت الثانية الى معالجة الضعف بتبني الانظمة الاوروبية المعاصرة والدعوة الى ضرورة الافادة من التقدم الاوروبي والأخذ بأسباب حضارتهم لضمان وحدة الدولة والحفاظ عليها[4]. ويتضح أن النجاح الذي حققته أوروبا آنذاك قد رجح كفة الجماعة الثانية واصبحت حركة الاصلاح تستهدف تطبيق الانظمة الاوروبية الحديثة في مجالات الحياة المختلفة[5]. وراح الاقتصاد الاوروبي الحديث يؤثر في الطوائف الحرفية داخل الولايات العثمانية[6]. استوجب على المصلحين الاوائل أن يبدأوا من حيث التمكن للدفاع عن ممتلكات الدولة بعد أن منيت الجيوش العثمانية بهزائم مريرة أمام الخطط والاسلحة الاوروبية الحديثة خلال تلك الحقبة، وهكذا انحصرت العمليات الاولى بالإصلاح العسكري رغبةً في الحفاظ على الكيان من الأخطار التي أعترضته[7]، ووصلت طليعة الافكار الاصلاحية الى عدد من الولايات العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر وأشتملت على مبادئ الثورة الفرنسية (1789) التي انتقلت الى البلدان العثمانية بوساطة البعثات العسكرية الفرنسية التي وصلت الى استانبول وكان لها تأثير فاعل في نقل مبادئ الحرية والعدالة والمساواة والوطنية[8].لم تكن العلاقات العثمانية – الاوروبية في صراع دائم وعداء على طول المدة التي سبقت التنظيمات العثمانية، بل كانت هناك علاقات سلام وتفاوض ومواثيق وتجارة ربطت الطرفين، وعليه فأن بروز التحديث والاصلاح العثماني في القرن التاسع عشر لا يعني انحصاره في ذلك القرن لا غير، اذ اشار بعضهم الى ظهور

اشارات واضحة الى وجود استخدامات اوروبية في بناء المدافع والسفن ووضع الخرائط وفن العمارة والهندسة في القرون الخامس عشر، والسادس عشر، والسابع عشر[9].

بمجيء السلطان احمد الثالث (1703-1730) تبنت الحركة العثمانية المفهوم الغربي، وبدأ نفوذ الثقافة الغربية يتسلل الى الدولة العثمانية وسط تحديات للقوى الرجعية القديمة وكانت الانكشارية على رأسها، من جانبه حث السلطان على ضرورة تنفيذ الاصلاحات العسكرية في: سلاح المشاة، وسلاح البحرية، وصناعة السفن، وارسلت بعثات الى باريس وفينا[10]. الامر الذي زاد من الاستياء العام في استانبول في عقد الثلاثينات من القرن الثامن عشر تزعمه قادة انكشاريون أرغموا السلطان احمد الثالث على التنازل عن العرش من دون ان يختفي اثر المصلح والدبلوماسي ابراهيم متفرقة (1674-1745) في دعم الطباعة وبث الوعي الفكري لتستمر جهوده حتى بدايات حكم السلطان محمود الاول (1730-1754) [11].استمرت انشطة السلاطين العثمانيين في الاصلاح، أذ عرف السلطان مصطفى الثالث (1757-1774) بعنايته بأصلاح الجيش والمالية وذلك ما تحتله تلك الجوانب من أهمية في الدولة العثمانية، وسارت الحركة الاصلاحية وانتعشت ابان حكم السلطان سليم الثالث (1789-1807) والذي أصدر عام 1792-1793 سلسة أوامر عرفت بالـ (نظام الجديد) [12] حتى تطور التعليم العسكري على النمط الغربي وعدّ أول سلطان اطلق عليه لقب مصلح، ومن المفيد ان نشير الى ان اعتلاء سليم الثالث عرش الدولة العثمانية قد تزامن مع اندلاع الثورة الفرنسية من جهة وتعرض الدولة العثمانية للأطماع الروسية من جهة اخرى، وكانت حينها الدولة قد منيت بخسائر خطيرة وهزائم متكررة هددت وجودها[13]. إلا أن جهود السلطان سليم الثالث في المجال العسكري قد حقق بعض النجاحات من خلال الفرق العسكرية الجديدة وفتح المعاهد العالية[14]. مع ذلك لم تستمر تلك النجاحات وانتكست حركة التحديث التي قادها سليم الثالث بعد أن تمكنت الانكشارية من تعطيلها في اوائل عام 1807 متهمتها بأنها (بدعة غير شرعية) مثلما افتى شيخ الاسلام الذي نصب حديثاً آنذاك (محمد عطا الله) بضرورة عزل السلطان واحلال مصطفى ارابع محله، الذي أمر بإعدام سليم الثالث ليبعَد بعدها مصطفى الرابع بثورة عارضتهُ وليتم تنصيب محمود الثاني محلهُ (1808-1839) [15] الذي عاصر تغيرات أوروبية وظهور رجالات كبار في مصر والعراق وتونس والمغرب في الوقت الذي تفاقمت فيه مخاطر الوهابيين في نجد، أما في المجال الداخلي فكانت تمردات الانكشارية من أخطر المشكلات التي واجهت العمليات الاصلاحية التي لم تتوقف رغم كل تلك التحديات فجرى تحسين للمدارس العسكرية، وشكلت قوات جديدة على الطراز الجديد لتقف بوجه الانكشارية[16]، وتضع نهاية لها[17]. استمرت الاصلاحات في عهد السلطان محمود الثاني لتشمل الادارة، والتعليم، والصحة، والعمران، والصناعة، مثلما تم ارسال بعثات الى اوروبا وظهرت جريدة (تقويم الوقائع) سنة 1831 والتي عدها البعض اول جريدة رسمية في البلاد[18].

شكلت الاجراءات الاصلاحية في عهد السلطان محمود الثاني ومدى انعكاسها على إيالات الدولة القاعدة التي ارتكزت عليها ما عرف بـ (التنظيمات العثمانية) والتي بدأت مع اعتلاء السلطان عبد المجيد (1839-1861) عرش الدولة، تلك التنظيمات التي عدت حركة اصلاحية على النمط الاوروبي، ففي 3 تشرين الثاني 1839 أعلن عن فرمان (مرسوم) التنظيمات في ميدان قصر كولخان (قصر الورد) امام العديد من رجال الدولة والشعراء والسفراء، وصدرت في اعقاب مرسوم كولخانة مجموعة من القوانين ادت الى احداث تغييرات كثيرة في الادارة والتجارة وفي النواحي العسكرية ونظام الضرائب[19]، مثلما كان البيان الاصلاحي الثاني الذي صدر في عهد السلطان عبد المجيد هو مرسوم همايون الذي صدر في 18 شباط 1856، والذي ساوى بين رعايا الدولة امام القانون، واقر

بضرورة حاجة الدولة للاصلاح الشامل[20]. من المفيد ان نشير الى ان التنظيمات العثمانية لم تحقق أماني الاصلاحيون في الوقت الذي لم تجد فيها الشعوب المسلمة ما كانت تسمعه عن مزاياها، وكانت تلك الاصلاحات النافذة التي استطاعت بوساطتها الدول الاوروبية التدخل في الشؤون العثمانية والتأثير فيها، حتى ان بعضها (الاصلاحات) كانت متسترة بمسائل الاصلاح، والمالية، والاقتصاد. وفي هذا الصدد اشارَ عالم الاجتماع عبد العزيز الدوري الى ان الاصلاحات جاءت في ظروف لم تخل من ضغط الدول الاوروبية ولمصلحتها أحياناً وأنها جاءت ببعض البدع التي لم تقبلها بعض فئات المجتمع العربي[21]. من دون ان تذهب اعمال مدحت باشا (1822-1884) الاصلاحية عن افكار الكثير من المؤرخين والكتاب، اذ كان له مكانة مميزة في الحياة الاصلاحية والتنظيمات الخيرية منذ ان عين والياً على العراق عام 1869 وحتى عام 1872، كما يرجع اليه الفضل في اصدار اول دستور للدولة العثمانية عام 1876 وكان دوره الاصلاحي كبير في البلاد العربية[22].

المبحث الثاني

التوجهات الاصلاحية في بلاد فارس

وجد بعض الشاهات الفارسية ان العثمانيون قد سبقوهم في بعض المجالات المعرفية مثلما لاحظوا التطور الذي انتاب المؤسسات العسكرية والذي قاد الى التفوق العسكري في بعض المعارك. حتى استشعر الشاه طهماسب الاول (1524-1576) بتلك المتغيرات وتأثيرها الامر الذي دعاه الى دعم صناعة البنادق بالاعتماد على البرتغاليين الذين كانوا متواجدين انذاك في هرمز فحقق بعض الانتصارات بفضل التقدم الذي حصل في مجال التسلح[23]. حققت ايران في عهد الشاه عباس الكبير[24] استقلالاً سياسياً مقبولاً واعادت ايران وحدتها الوطنية بعد ان عصفت بها احداث وصراعات كادت ان تضع البلاد في الدرك الاسفل من الانحطاط[25]. تأثر عباس الكبير بالتوجهات العثمانية وأخذ من افكار المصلحين الأوائل الشيء الذي يدعم توجهاته في بلاد فارس[26]، واستطاع ان يعيد الاستقرار الى البلاد بفضل الاهتمام بالشؤون العسكرية بعد أن أدخل العديد من الاصلاحات في المؤسسة العسكرية في الوقت الذي راح يُحجم من دور القزلباش الذين أستشعر منهم الخطر على النظام، فعمل على تشكيل جيش يدين له بالولاء لا للقبيلة وذلك لان التحديات التي كانت تواجهه آنذاك يستلزمها قوات تدين له بالولاء ليتمكن التغلب على انواع الصعوبات والفتن الداخلية وحماية البلاد من الاعتداءات الخارجية ومن ثم يشرع بالإصلاح اللازم لتطوير بعض مفاصل الحياة آنذاك[27]. وهذا ما ابتدأ فيه مصلحو الدولة العثمانية من خلال زيادة التمكين للدفاع عن ممتلكات الدولة العثمانية واراضيها من خلال العمليات الاولى بالإصلاح العسكري بعد الهزائم التي منيت بها القوات العثمانية امام القوات الاوروبية وأسلحتها[28]؛ إلا أن الاوضاع اختلفت امام القوات الصفوية أذ تمكنت القوات العثمانية من تحقيق بعض الانتصارات الحاسمة على الاولى في بعض المواجهات لاستخدامها الاسلحة النارية الحديثة، والتي تنبه لها بعض القادة الصفويين وعدد من المصلحين الذين اكدوا على ضرورة تطوير القوات المسلحة وتحديث اسلحتها[29].ركز الشاه عباس على الجانب العسكري حتى ادخل بعض الاصلاحات على بنية المؤسسة العسكرية في مسعى للتأثير في القزلباش ودورهم في البلاد، بعد ان ادرك خطرهم على النظام وتأثيرهم في الحياة الاجتماعية والسياسية آنذاك، ولغرض تدعيم تلك الاصلاحات وزيادة اثرها استعان الكبير بالخبرات الاوروبية من خلال الأفادة من الاخوين انتوني شيرلي (Antony shirley) وروبرت شيرلي (Robert Shirley) الذين تواجدوا في ايران مع بعثة حضرت الى بلاد فارس عام 1599 وقد نجحا الاخوين في الاشراف على تدريب بعض وحدات القوات المسلحة العسكرية واعادة تنظيمها وفق التنظيمات الحديثة، مثلما أشرفا على اقامة

مصنع للأسلحة في اصفهان زود الجيش الفارسي بعد اشتغاله ببعض البنادق والمدافع المتوسطة التي زادت من قوة بعض القطعات ورفعت من مستويات القوات التي راح البعض منها تطبق النظم الحربية العثمانية فيما بعد[30].اهتم الشاه عباس بالجانب الاداري والاقتصادي ايضاً ولاسيما بعد أن نقل العاصمة الى مدينة اصفهان والتي كان لموقعها البعيد عن تعرضات القوات العثمانية ونقاء اجوائها فضلاً عن وقوعها على الطرق التجارية السبب في اختيارها عاصمة بدلاً من تبريز[31]. وراح الشاه المصلح (ان صح التعبير) يعبد الطرق وينشأ الخانات لاستمالة التجار وتشجيعهم على التعامل مع ايران، حتى ظهرت ملامح الانتعاش التجاري وتضاعفت عائدات وموارد الدولة آنذاك[32]، وزاد رخائها الاقتصادي الذي انعكس ايجاباً على الجانب العمراني للدولة، في الوقت الذي لم تكن الزراعة بعيدة عن اهتمام ذلك المصلح الذي دعم الفلاحين من خلال استئجار مزارعيهم لمساحات زراعية بأجور رمزية تشجيعاً لهم لزراعتها[33]. مثلما لم يكن الفن ببعيد عن افكار الشاه عباس ودعمه، فأنشأ مدرسة للرسم في اصفهان كانت مفتاح لدعم التصاميم الفنية والمنسوجات الايرانية، حتى عدت مدة حكم عباس الكبير واحدة من افضل المدد في تاريخ الدولة الصفوية[34]. إلا ان ذلك لم يمنع ان يكون هو نفسه (الشاه عباس) الذي زرع بذور الضعف في البلاد وذلك لعدم تهيئة من يخلفه في الحكم[35]. بدأت في بلاد فارس مرحلة جديدة بعد وفاة الشاه عباس الكبير (1629) اذ عرف الشاهات الذين أتوا بعده بعدم الكفاءة والضعف، وكانت نظرتهم سلبية للاصلاح، فسارت البلاد في عهدهم من سيء الى اسوء[36].

المبحث الثالث

الاصلاح في بلاد فارس خلال القرن التاسع عشر والأثر العثمانية فيه

كان العهد القاجاري واحداً من العهود المهمة في تاريخ ايران الحديث، وشهد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية مهمة، وظهرت فيه محاولات اصلاحية سايرة ما حدث في الدولة العثمانية وأوروبا، وتبنى المصلحون توجهات عبرت عن تفهمهم لما كان يجري من تطورات في بلدان مجاورة راحت تسير في طريق الاصلاح بهدف تعديل نظامها التقليدي الى ما يشبه النظم الاوروبية آنذاك. وقد تأثر فتح علي شاه (1797-1834) بالمتغيرات التي حدثت في الدولة العثمانية فأنشأ منصباً جديداً هو (الصدر الاعظم) وكان من اهم المناصب في الدولة بعد الشاه[37].ظهرت في رحم المجتمع الفارسي مبادرات اصلاحية دعا اليها اشخاص اطلعوا على الافكار الحديثة من خلال نظرتهم للواقع الايراني فضلاً عن احتكاكهم بالمجتمعات الاخرى فراحوا يعملون لأحداث تغيير في المجتمع[38]. ومن تلك الشخصيات التي حاولت الاصلاح في بلاد فارس هو ميرزا محمد تقي خان المعروف بـ(أمير كبير)[39] حتى انه تولى منصب الصدر الاعظم خلال سنوات 1848-1851 اي في بداية حكم ناصر الدين شاه، ووصف بأنه واحد من أعظم الشخصيات واقواها في تاريخ ايران الحديث[40]، وقد كان من المتأثرين بتجربة الاصلاح العثماني[41]، ودعا الى تنفيذ برنامج طموح لإصلاحات شاملة في البلاد على غرار الاصلاحات العثمانية شمل جوانب عديدة ومجالات مختلفة عسكرية، ومدنية، وزراعية، وصناعية. أطلع امير كبير خلال رحلاته على محاولات الاصلاح والتحديث حتى أشير الى انه تشبع بالأفكار الاصلاحية[42]، عندما ترأس وفد بلاده في الاجتماعات التي عقدت في ارضروم بين سنتي 1843و1847 وتمخض عنها توقيع معاهدة ارضروم الثانية سنة 1847، وهناك أطلع امير كبير عن النتائج الاولى للتنظيمات العثمانية ولاحظ التحولات في الانظمة والقوانين الاصلاحية[43]. مثلما حرص على منح الحرية الدينية لغير المسلمين في البلاد وممارستهم لشعائرهم الخاصة ومنهم الزرادشتيين، والاثوريين، والأرمن، والصابئة، واليهود ولم يكن ذلك لكونه مثقفاً دينياً عادلاً فحسب،

بل ايضاً نكاية بالعثمانيين الذين كانت لهم خلافات مع البعض منهم وصدامات عسكرية مع البعض الاخر، هذا فضلاً عن رغبة أمير كبير لكسب الجانب الاوروبي ولاسيما روسيا، وبريطانيا، وفرنسا[44].في الوقت الذي أتقن اللغة العثمانية اثناء اقامته في تبريز وهناك استطاع التواصل مع العثمانيين بدون مترجم واطلع على التوجهات الاصلاحية داخل الدولة العثمانية، فضلاً عن اقامته علاقات مع بعض المسؤولين العثمانيين رسختها رحلاته الى استانبول التي استوعب من خلالها بعض المتغيرات التي سعى الى تطبيقها داخل بلاده فيما بعد[45].كان من بين انجازات ذلك الكبير (ميرزا محمد تقي خان) انشاء اول مدرسة ثانوية علمانية باسم (دار الفنون) افتتحت في 30 كانون الاول 1851، وجاء افتتاحها لمواكبة حركة التحديث بعد ان اطلع على المدرسة الطبية العسكرية العثمانية واقسامها العديدة، وقد اطلق على المدرسة في بادئ الامر اسم (دار التعليم الملكي) اسوةً بـ(دار التعليم السلطاني) في استانبول ثم اطلق عليها اسم (المدرسة النظامية) وبعد اسبوع من افتتاحها تغير اسمها الى دار الفنون بتدخل من احد معلميها النمساويين[46]. كما اصدر امير كبير اول جريدة رسمية بأسم (جريدة الوقائع) فضلاً عن انجازات اخرى جاءت بعضها على غرار الانجازات العثمانية[47]. واذا كان هناك ما يجدر ذكره عن الاصلاح في القرن التاسع عشر ومدى تأثر رجاله في التوجهات العثمانية فهناك كان ميرزا جعفر خان[48] الذي عمل سفيراً لبلاده في الدول العثمانية خلال المدة (1836-1843) مثلما كان عضواً في لجنة تعيين الحدود الايرانية- العثمانية، تأثر بالاصلاحات العثمانية وكان يبعث رسائل الى الشاه محمد شاه ضمنها آرائه حول نتائج الاصلاح مؤكداً على ضرورة وضع القوانين اللازمة لذلك والأفادة من الاجراءات الاصلاحية في الدولة العثمانية[49]، وهناك ايضاً كان مالكوم خان[50] الذي امضى شطراً كبيراً من حياته في العمل الدبلوماسي داخل الدولة العثمانية وكان متأثراً بحركة الاصلاحات العثمانية، وقدم مشروعاً اصلاحياً على غرار تلك الاصلاحات الى ناصر الدين شاه[51] أسماه (دفتر التنظيمات) دعا فيه الى ضرورة الفصل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، مثلما طالب بالمساواة بين المواطنين الا ان تلك المبادرة لم تحض بالموافقة من قبل الشاه[52]، وذلك خشية التأثير على حكمه من خلال توعية المواطنين واثارتهم للمطالبة بالحقوق[53].ادى جمال الدين الافغاني بعد وصوله الى ايران عام 1886 دوراً كبيراً في توعية المواطنين في بلاد فارس من خلال المطالبة بالإصلاح الاقتصادي والاداري، فضلاً عن السعي لتبصير الناس بفساد الشاه وتبديده للثروات[54]. وفي ظل اتساع آفاق التجارة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في الدولة العثمانية والتي ارتبطت بسلسلة من المتغيرات كان منها افتتاح قناة السويس سنة 1869 وتطبيق نظام الولايات فضلاً عن تعديل الرسوم الكمركية وتنشيط التجارة، دعا جمال الدين الافغاني الى اقامة المؤسسات الحديثة في ايران على النمط الاوروبي وما حدث من اجراءات اصلاحية في الدولة العثمانية، كما وطالب بارسال البعثات العلمية الى الخارج ليطلع الايرانيين على التطورات الاقتصادية والاجتماعية وما حدث من تغيير في الولايات العثمانية لنقل تلك المتغيرات الى الداخل الايراني[55]. وبعد توافد بعض الطلبة الى ايران راحت الانجازات تتحقق شيئاً فشيئاً على الساحة الايرانية فصدرت صحيفة (الوقائع الايرانية) في شباط عام 1851 فضلاً عن اصدار صحيفة (وقائع اتفاقية) التي راحت تنشر الاخبار الخارجية، مثلما تم تأسيس بعض المطابع حتى راحت مدرسة الفنون تقدم دروساً في اللغات الاجنبية والعلوم السياسية فضلاً عن الهندسة والطب والعلوم العسكرية[56]. استمرت الاصلاحات في بلاد فارس حتى أقيم عام 1858 اول خط تلغرافي ربط العاصمة طهران باستانبول والذي سهل نشر المعلومات وجعل البلاد على تماس مباشر بالمتغيرات الاصلاحية في الدولة العثمانية[57]، وتوسعت العلاقات القاجارية – العثمانية بفضل مدة

الهدوء التي اصابت تلك العلاقات ولاسيما بعد عقد معاهدة ارضروم الثانية 1843 واعتلاء ناصر الدين شاه العرش الفارسي (1848-1895) في الوقت الذي لم تكن هناك خروقات تجارية بين البلدين بعد ان اصبحت الطرق بين البلدين أكثر أماناً زادت من مرور التجار القاجاريين الى الدولة العثمانية والذين تعرفوا على الكثير من الاعمال والاجراءات التي كانت متبعة داخل الولايات العثمانية ولاسيما التي خصت المعاملات التجارية واجراءاتها[58].حاول ميرزا حسين خان سبهسالار (مشير الدولة) [59] الاستفادة من عمله سفيراً لبلاده في استانبول للمدة 1858-1870 وتعرفه على الاصلاحات هناك وعند زيارة ناصر الدين شاه عام 1870 الى العراق بهدف زيارة الاماكن المقدسة، رافقه ميرزا حسين خان سبهسالار بصفته سفيراً لدى الدولة العثمانية وقد اطلعا على اهم المتغيرات التي اسهم فيها مدحت باشا في العراق، مثلما لاحظا التقدم الحاصل نتيجة الاصلاحات في المجال الاقتصادي والتطور الذي شمل البحرية العثمانية في الخليج والتي قد تشكل تحدياً للتوجهات الايرانية في الخليج[60]، وبعد ذلك أستدعيَ (مشير الدولة) من قبل ناصر الدين شاه لتولي الصدارة العظمى عام 1871 فعمل على ادارة أمور البلاد بالشكل الذي خدم مخططات الأصلاح لبناء الدولة[61]، اذ ركز على اصلاح الجانب السياسي واقترح ضرورة وجود صدر اعظم، فضلاً عن الوزارات التي حددها بتسعة، وقد تمت الموافقة على اقتراحاته تلك، ثم ما لبث ان ركز على الاهتمام بالجانب الثقافي والجانب العسكري إلا ان تلك الجهود لم تمنع ناصر الدين شاه من عزله عن الصدارة العظمى خشية اصلاحاته التي قد تهدد السلطة[62]. ومن المفيد ان نذكر ان تطلعات سبهسالار توافقت وتطلعات ميرزا مالكوم خان وذلك عندما التقاه الاخير في استانبول في صيف عام 1862 وكانا الأثنين متأثرين بتجربة الاصلاحات العثمانية ومتفقين على امكانية تطبيقها في بلاد فارس[63].

لم تنحصر النظرة الايجابية للاصلاح العثماني عند المثقفين وبعض الشخصيات الحكومية او التي كانت مؤثرة في بلاد فارس، بل اسهم اتجار الايرانيين بنقل بعض اخبار التطورات والحركات في الدولة العثمانية الى داخل بلادهم وذلك من خلال مشاهداتهم لتلك التطورات والاصلاحات، فضلاً عن إلتقائهم او تعاملهم مع بعض التجار الاوروبيين داخل الدولة العثمانية، هذا فضلاً عن دور الصحافة التي نشرت الوعي في المجتمع الايراني، وكانت بعض تلك الصحف تصدر في استانبول مثل صحيفة (أختر) وتدخل الى ايران بشكل سري، وقد اسهمت في اطلاع البعض على الكثير من الاصلاحات التي حصلت داخل الدولة العثمانية. مثلما كان للطلبة الدارسين خارج البلاد ولاسيما في استانبول الاثر في نقل التجربة العثمانية وبث روح الاصلاح لدى الشعب الايراني وتنبيهه للحالة المتردية التي يعيشها وما آل اليه العالم من تقدم في نواح عديدة. مثلما كشفت بعض الدراسات وجود بعض المصلحين في بلاد فارس خلال القرن التاسع عشر عملوا على اصلاح بعض المرافق الحياتية مثلما سعوا الى تنظيم وتحديث المؤسسات القاجارية مما تركوا اثراً في البلاد منهم ابو القاسم ميرزا عيسى (قائممقام) [64]، مثلما وجد البعض بالحركة البابية التي قادها علي محمد رضا الشيرازي (1819-1850) والتي بدأها سنة 1844باباً للتبصر في الدين والتطور الاجتماعي مثلما هي خطوة نحو التحرر الديني[65].

الخاتمة:

هيأة الحقائق والتحليلات التي وردت في ثنايا بحثنا هذا الارضية المناسبة للتوصل الى عدد من الاستنتاجات فيما يتعلق بأثر الاصلاح العثماني في بلاد فارس حتى القرن التاسع عشر ومنها: ان العثمانيين قد سبقوا الايرانيين في جوانب معينة لاسيما الجانب العسكري مثلما كان للدولة العثمانية الاثر في مجرى السياسة الدولية آنذاك الامر الذي زاد من اطلاعها عن الانجازات الاوروبية فضلاً عن الاثر الذي تركته الجاليات الاوروبية داخل الولايات العثمانية فكانت الاصلاحات العثمانية محاولة تجديد النظم القديمة او استبدالها بعد ان تعرضت الدولة الى محددات داخلية وتدخلات خارجية اثرت في بنية الدولة.تعود بدايات الاصلاح في بلاد فارس الى العهد الصفوي وتجسد ذلك واضحاً في توجهات الشاه عباس الكبير الذي سعى الى بناء دولة قوية يسندها جيشاً نظامياً قوياً وقد تأثر الكبير بالتوجهات العثمانية وأخذ من افكار المصلحين في الدولة العثمانية ما يدعم توجهاته في بلاد فارس. واستفاد المصلحون الايرانيون من التجربة العثمانية على الرغم من كل تلك الحروب التي شغلت الجانبيين.شهد المجتمع الايراني في القرن التاسع عشر ظهور عدد من المثقفين والمجددين ممن تأثروا بأفكار الغرب وما حدث داخل الدولة العثمانية، فكانوا من الداعين للإصلاح وأدخال المناهج التقدمية للبلاد، وضمت تلك الفئة عدد من المثقفين وضباط الجيش وموظفين، ورجال دين متنورين فضلاً الصحفيين الذين كان لبعضهم الاثر في نقل الافكار الاصلاحية الى الداخل الايراني.

اسهم القرب الجغرافي والحدود الطويلة بين الدولة العثمانية وبلاد الفارس في انتقال الافكار الحديثة والتوجهات الاصلاحية الى بلاد فارس هذا بالإضافة الى دور التجار وطلبة العلم في ذلك الاتجاه. مثلما انتابت بلاد فارس في القرن التاسع عشر محاولات اصلاحية اثرت في مجرى التاريخ الايراني، وان لم يكتب لبعضها النجاح، وذلك بسبب معارضة بعض الجهات الحكومية ولعدم الجدية في دعمها فضلاً عن جهات شعبية كانت مستفيدة من الاوضاع انذاك، في الوقت الذي وجدت محاولات اصلاحية دعت اليها شخصيات حكومية كان لها اثر في القرار القاجاري والسلطة انذاك.

على الرغم من افكار اولئك المصلحون والمثقفون داخل بلاد فارس وتوجهاتهم الاصلاحية يمكن عدها محاولات اسهمت في تحقيق انجازات خجولة في ظل معارضة البعض وتحكم الجهل، فضلاً عن معارضة السلطة إلا انها نبهت الاذهان لما كان يدور داخل البلاد والى مساوئ السلطة التي ادخلت البلاد في نهاية المطاف بصراع بين الوطنيين والقوى الاستعمارية.

قائمة المصادر:

أولاً: الكتب العربية والمعربة.

- ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد، ايران وتركيا- دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1992.
- احمد كسروي تبريزي، تاريخ الحكم النيابي في ايران، ترجمة. هويدا عزت محمد احمد، ج1، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2009.
- بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير 1588-1629، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
- حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ ايران السياسية من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية، المجلد 3، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008.
- خالد زيادة، أكتشاف التقدم الاوروبي- دراسة في المؤثرات الاوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، ط1، بيروت، 1981.
- خضير البديري، التاريخ المعاصر لايران وتركيا، ط2، بيروت، 2015.
- سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث 1516-1916، ط1، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1991.
- طلال مجذوب، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية 1906-1979، دار ابن رشد للطباعة والنشر
- عباس أقبال اشتياني، تاريخ ايران بعد الاسلام- من بداية الدولة الظاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية 205هـ/820م- 1343هـ/1925م، نقلهُ عن لفارسية محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.
- عبد الرحيم عبد الرحمن، موسوعة الثقافة التاريخية والاثرية والحضارية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006.
- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي بلأمة العربية (دراسة في الهوية والوعي)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.
- عبد المحسن القصاب، ذكرى الافغاني في العراق، مطبعة الرشيد، بغداد، 1945.
- عماد أحمد الجواهري، تاريخ مشكلة الاراضي في العراق- دراسة في التطورات العامة 1914-1932، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978.
- فرح صابر، المشقفون الايرانيون من التأسيس الى الثورة الدستورية، دار الكتاب العربي، بغداد، 2011.
- محمد حسن العيدروس، تاريخ العرب الحديث، دار الكتاب الحديث، الكويت، 2000.
- محمد سلمان حسن، التطورات الاقتصادية في العراق (التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي 1864-1958)، المكتبة العصرية، 1965.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران 1501-1736، ط1، دار النفائس، بيروت، 2009.

- نبيل الاسكندر وفان دولينا، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات واربعينيات القرن التاسع عشر، ترجمة. أنور محمد ابراهيم، ط1، المجلس الاعلى الثقافي، 1999.

ثانياً: الكتب الأجنبية.

- Hatic Kilic, Iran'n Modernlesme Osmanli devletinin rolu (1848-1923), Yuksek lisans Tezi, orta dogu Aractirmalari Enstusu, marmara Universitesi, Istanbul, 2006, S25.
- مسعود عرفانيان، تنظيمات در عثماني وتأثير ان بر أمير كبير ميرزا حسين خان سبهالار وميرزا ملكم خان ناظم الدولة، فعلنامه تاريخ روابط خارجي، سال يزدهم وجهاردهم شماره 52-53.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية.

أ-الرسائل

- حمزة تومي، الاصلاحات العثمانية بين المتطلبات الداخلية والضغوط الاوروبية (1792-1924)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بو ضياف، الجزائر، 2016.
- صباح كريم الفتلاوي، ايران في عهد محمد علي باشا 1907-1909، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الكوفة، 2003.
- عبد الحميد الارقط، اوضاع الدولة الصفوية وعلاقتها الخارجية في عهد الشاه عباس الاول 1588-1629، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة حمه الخضر، 2015.
- علي خضير عباس المشايخي، ايران في عهد ناصر الدين شاه 1841-1896، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، 1987.
- فاطمة سمير شهاب احمد الخالدي، ابو القاسم قائمقام ودوره في الحياة السياسية الايرانية (1821-1835) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية التربية لبنات، جامعة بغداد، 2014.
- قحطان جابر اسعد أرحيم التكريتي، دور المشقفين والمجددين في الثورة الدستورية الايرانية 1905-1911، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، كلية التربية، 2005.
- محمد عصفور سلمان، العراق في عهد مدحت باشا (1286-1289هـ)- (1869-1872م)، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، 1989.
- مسلم محمد حمزة، أمير كبير انموذجاً للتحديث في ايران اواسط القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، 2007.
- نمير طه ياسين، (بدايات التحديث في العراق 1869-1914)، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1984.

ب-الاطاريح

- مسلم محمد حمزة، عباس ميزا ودوره في تحديث ايران (1798-1833)، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة بغداد، 2011.

رابعاً: المجلات

- عبد الوهاب القيسي، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق 1839-1877، "كلية الاداب" (مجلة)، جامعة بغداد، العدد الثالث، كانون الثاني، 1961.
- علي خضير عباس المشايخي، افكار الاصلاح والتغيير في ايران في القرن التاسع عشر، "الاستاذ" (مجلة)، جامعة بغداد- كلية التربية (ابن رشد)، العدد 201، 2012.
- لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية،(مجلة)، كلية الاداب، جامعة واسط، المجلد 4، العدد 7، 2012.

خامساً: الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت)

-HTTP://www. Islamonline.net

. وعلى العنوان الاتي(احياء الخلافة او تعريبها)

The impact of the Ottoman reform in Persia Until the nineteenth century

Abstract:

Since the Safavid era, Persia witnessed reform ideas that were influenced by what was happening in the Ottoman Empire, and its transformations left traces in Persian society. The attempts of reform and modernization in the Ottoman Empire are very clear. The geographical aspect and the long borders between the Ottoman Empire and Persia contributed to the transmission of modern ideas and reformist tendencies to Persia, in addition to the role of diplomatic staff, merchants, and somemerchants, and some students and employees in that direction. The reform attempts in Persia had an impact on the course of Iranian history.

Some of them did not succeed due to the opposition of some of the governmental and popular beneficiaries, on the other hand, they alerted the minds and reflected the extent of benefiting from the Ottoman or European reform to serve the Iranian society from which, especially the patriots, eventually entered into a struggle against the colonial powers and those who supported them in the country.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 123) 2024, pp. 180-190

.

.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 123) 2024, pp. 180-190